الشيخ نعمة هادي الساعدي

أم البنين

رائدة الجهاد في الإسلام

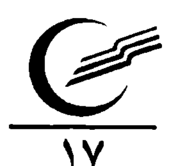
مؤسسة التاريخ العربي
للطباعة والنشر والتوزيع




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

أم البنين

رائدة الجهاد في الإسلام



١٧

أم البنين

رائدة الجهاد في الإسلام

تأليف

الشيخ نعمة هادي الساعدي

مؤسسة التاريخ العربي

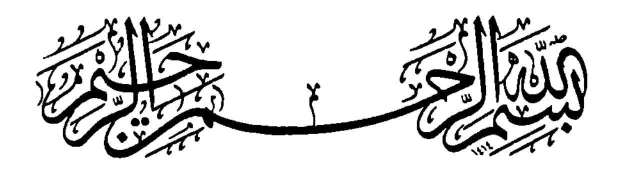
الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

مؤسسة التاريخ العربي للطباعة والنشر والتوزيع	THE ARABIC HISTORY Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٥٤٠٠٠٠ - ٥٤٤٤٤٠ فاكس ٨٥٠٧١٧ - ص.ب.١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel: 540000 - 544440 Fax: 850717 P.O.box 7957/11
E-mail: darcta@cyberia.net.lb


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

قد تسألني ما هو الداعي لكتابة هذه السطور عن هذه السيّدة المؤمنة ؟

الدواعي كثيرة: لأنّها مؤمنة صالحة ، ولأنّها مخلصة للقضيّة الحسينيّة ، فقد بذلت بإخلاص وكافأها الله على ذلك ، إنّ الله لا يضيع عمل عاملٍ من ذكرٍ وأُنثى .

وقد تحدّث عنها كثيرون كثيرون ، من رجال النسب والمعنيّون بالرجال ، فقد ورد ذكرها في: كتاب تنقيح المقال[1]، وجاء ذكرها في منتهى الآمال[2]، فقد كانت

---

(١) تنقيح المقال ٢: ١٢٨ .

(٢) منتهى الآمال / عبّاس القمّي: ٦٨٩ .

فاضلة ، مؤمنة ، عارفة ، ذكرها كثير من الكتّاب القدماء والمحدثين.

يقول صاحب كتاب زينب الكبرى جعفر النقدي:

(كانت أُمّ البنين من النساء الفاضلات العارفات بحقّ أهل البيت ، كما كانت فصيحة ، بليغة اللسان ، ورعة ، ذات تقى ، زهد وعبادة).

ويقول كاتب آخر: (كانت مخلصة في ولائهم ، ولها عندهم الجاه الوجيه ، والمحلّ الرفيع).

وينفرد النقدي في كتابه زينب الكبرى فيقول: (ولإكبارها وجلالتها زارتها زينب بعد منصرفها من واقعة الطفّ كما كانت تزورها أيّام العيد)[١].

ويقول أحد الخطباء: «زيارتها قبل وقعة الطفّ كانت للتهنئة وإجراءً للسنّة ، أمّا بعد واقعة الطفّ للتعزية بأولادها الأربعة».

ويقول كاتب آخر (صاحب العمدة): (أُمّ البنين المرأة العالمة ، ولم تلقّب بهذا اللقب إلّا الحوراء زينب).

---

(١) زينب الكبرى / جعفر النقدي.

وهذه العبارة أخذها صاحب معالي السبطين الشيخ الحائري الكربلائي ، وقد نقل ذلك عن كتاب كنز المصائب: (إنّ ولدها العبّاس أخذ عِلماً جمّاً في أوائل عمره عن أبيه وأُمّه).

أمّا الإمام عليّ عليه السلام عندما سئل عن ولده العبّاس عليه السلام قال: «إنّ ولدي هذا قد زقّ العلم زقّاً» ، هذه قولة معروفة مشهورة مذكورة في كتب المقاتل ، ومعناها أنّه كان عالماً ، أخذ من أبيه كثيراً ، ومن أخويه ، والحديث عنها وعنه حديث مقبول ، أعطاها الله المحبّة في قلوب المؤمنين.

وجاء ذكرها في السلسلة العلويّة لأبي نصر البخاري من أعلام القرن الرابع الهجري (ص٨٨) ، قال:
(فوقع الاختيار على أُمّ البنين الكلابيّة ، ولم يعقّب أمير المؤمنين عليه السلام من فهريّة بعد فاطمة إلّا منها ، ولم تخرج أُمّ البنين إلى أحد قبله ولا بعده).

هذه لمحة عن أُمّ البنين الجليلة العظيمة التي تركت أثراً يقرأ ، بقيت فخراً لقبيلتها ، هي امرأة وفاء وإخلاص ، وكان حقيقاً على بني كلاب أن يفتخروا بها ، وما ذكره التاريخ عنها فهو قليل...

من هي أُمّ البنين ؟

هي زوجة عليّ عليه السلام المخلصة له ولولديه الحسنين عليهما السلام ، هي المرأة الصالحة المباركة في حياتها الزوجيّة ، هـي التي عرفت الحسين ، وأخلصت لقضيّته ، وأعطت أولادها من أجل قضيّته التي بقيت وتبقى ، هي المؤمنة حقّاً ذات الإيمان الثابت المركز ، ولا يوجد ، ولن يوجد ، في دنيا المرأة هكذا مؤمنة ، ارتقت بإيمانها وإخلاصها ووعيها ، وأكـرمها الله وأثابها ، إنّها تُذكر إذا ذُكِر الحسين عليه السلام ، فهي المرأة المجاهدة المسلمة التي تغذّت الإيمان من مصادره ومن ينبوعه ، من بيت عـليّ عليه السلام ، وعـنه أخـذت الكـثير ، فـهي في بـيت عليّ عليه السلام ، وضجيعة عليّ عليه السلام ، وشريكته في حياته ، سمعت وأخـذت ونـفّذت وارتـقت إلى المسـتوى الأفـضل ،

ولا نستطيع القول إنّها المرأة المسلمة الوحيدة إلّا أن نضع أمام هذا القول الدليل القوي؛ فإنّ القرآن مدح المرأة المسلمة في عصر النبوّة بمدائح كثيرة، وجاءت بعده عصور وعصور، وظهرت نساء مؤمنات ضربن المثل الأعلى في الإيمان والجهاد والفضل والصدق والوفاء.

وفي القرآن توضيح وإشارة إلى فضل المرأة المؤمنة: ﴿ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ ﴾[1]، ولربّ امرأة مؤمنة أفضل من ألف رجل خالٍ من الصدق والوفاء وحسن السيرة، أمّا المرأة التي نحاول دراسة شخصيّتها وسيرتها فهي أفضل وأرقى ممّا نكتب عنها، فهي إحدى النساء اللاتي كان لهنّ دور في واقعة الطفّ، وهي أُمّ الأربعة، أُمّ الشهداء، وإن أهملها التاريخ وبخل علينا في ترجمتها، ترجمة تتناسب مع شخصيّتها، الشخصيّة المثلى. وهي أُمّ الكرامات، ولو جمعت كراماتها لأصبحت مجلّداتٍ وأسفاراً، ويكفيها منزلة هذا التعلّق بها والحبّ الذي في قلوب الكثير ممّن له هويّة في الولاية وحبّ الحسين عليه السلام.

---

(١) البقرة: ٢٢١.

وقد تسألني ما هي جذور هذا الحبّ وبدايته ونشأته ؟

والجواب عن ذلك: أنّها عربيّة ، أنّها مباركة ، أنّها شريفة من بنات الأشراف ، من البيوت الطاهرة ، هي كلابيّة ، وهي علويّة الهوى ، وهي حسينيّة الحبّ ، وحبّها للحسين عليه السلام ، تشهد له الدموع الحارّة التي سكبتها من أجل الحسين عليه السلام وفي رثائه كما ستقرأه في أشعارها ورثائها.

أليس في محبّة الحسين عليه السلام أجر وثواب ؟

أليس في محبّة الحسين عليه السلام محبّة للرسول صلى الله عليه وآله ، وهو القائل: «أحبّ الله من أحبّ حسيناً» ، فقد أحبّت الحسين عليه السلام ، وحبّها يختلف عن حبّ الآخرين ، ومن يرتقي إلى هذا المستوى من الحبّ؟ هي بنت الشرف الرفيع ، والنسب الأصيل ، والسلالة العربيّة ، التي شهد لها الكثير ممّن له وعي وعرفان في أنساب العرب ، هي فاطمة بنت حزام الكلابيّة العامريّة.

ولدت في بيت شريف ، ومن نسب ليس فيه دخيل ، ثمّ انتقلت إلى بيت أشرف ، فاكتسبت من بيت أبيها المثل

العليا ، وما يزيّن المرأة في أيّامها الأولى أنّها اكتسبت من بيت أبيها العفاف والصدق والصفات الحسنة والعادات المألوفة ، وكلّها خير ، ثمّ انتقلت إلى بيت الإمامة وأخذت من عليّ عليه السلام ما أخذت ، فبماذا نمدحها ؟.

فإن تكن النساء بمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال

إنّها حقّاً أُمّ أبي الفضل عليه السلام ، والفضل منها ، والفضل منه ، وهي بنت حزام بن خالد الكلابيّة[1].

تزوّجها عليّ عليه السلام بعد السؤال والاستفسار وحسن الاختيار ، فكان زواجاً موفّقاً وغاية نبيلة.

قد تسألني لماذا تزوّج عليّ عليه السلام ، وما هي الدوافع لهذا الزواج ؟ وما هو الغرض المقصود له ؟

هل كان الزواج من أجل الزواج ؟

أو كان هناك غرض آخر ؟

غرض عليٍّ عليه السلام وقصده قصد شريف نبيل مقبول شرعاً وعرفاً وعروبةً وأخلاقاً ، وأيّده ، ووافقه ، ورضي بفكرته ،

---

(١) منتهى الآمال / عبّاس القمّي : ٣٦٠.

وقصده أخوه الكبير الشيخ العالم بالأنساب العربيّة عقيل بن أبي طالب ، وهو ممّن له اطّلاع في الأنساب العربيّة الآباء والأجداد والأُمّهات والدماء والطباع والحسن والمقبول والمألوف ، فاستشار عليّ عليه‌السلام أخاه ، فكان رأياً سديداً ، ورأياً مصيباً ، وحصل الوفاق والمطابقة والرضا بين عليّ عليه‌السلام وعقيل.

(ونقل أنّ أمير المؤمنين لمّا قال لأخيه عقيل الذي كان عالماً بأنساب العرب ، بأن يختار له امرأة تلد له فحلاً شجاعاً ويكون فارس العرب ، قال (عقيل) لأخيه: تزوّج بأُمّ البنين ، فإنّه ليس في العرب أشجع من آبائها)[1].

وتحقّق ذلك الحلم لعليّ عليه‌السلام ، فكان كما أراد ، وكانت كما قال عقيل ، والتاريخ شاهد وسيرتها وحياتها خير شاهد على ما نقوله وما نكتبه ، وأعتقد أنّك تصدّقني إذا قلت إنّها النسخة الفريدة في دنيا النساء.

هذه هي أمّ البنين ، ونحن أمام امرأة ليست كالنساء ، جليلة القدر شريفة ، أضافت إلى شرفها شرفاً ثانياً وثالثاً

---

(١) منتهى الآمال / عبّاس القمّي: ٣٦٠.

ورابعاً و... ، والدليل على ما نقول إنّ نتاجها وأولادها خير أولاد في السيرة والمسيرة وحسن السريرة ، ونحن أمام امرأة ليست كالنساء اللاتي ورد ذكرهنّ في التاريخ العربي والمواقف المحرجة ، وما أكثر النساء اللاتي ضربن المثل الأعلى في الوفاء والجهاد وحسن السيرة.

والحديث عن المرأة الصالحة حديث طويل ، وهو نهج قرآني ، فقد قرأنا في القرآن أكثر من آية عن المرأة الصالحة ، فقد تحدّث القرآن عن مجموعة كبيرة من النساء بأسمائهنّ ، أو اكتفى بالإشارة إليهنّ ، أمّا المرأة التي نحن بين يديها وعند بابها وفي رحابها المبارك هي أُمّ الأبطال وأُمّ الأبناء وأُمّ الشهداء الأربعة ، وما أكثر الأُمّهات في التاريخ.

وهي النادبة بصدق ، والباكية بإخلاص ، والذاكرة للحسين عليه‌السلام بعاطفة ، وهي التي ماتت كمداً وحزناً على ذبيح البطولة الحسين عليه‌السلام ، وهي التي تردّد اسم الحسين عليه‌السلام على لسانها ،وانطبع في قلبها ، وجرى في دمائها ، وكان نشيدها الحسين عليه‌السلام ، وهي التي نصبت العزاء له ، وحوّلت

المدينة إلى صيحة واحدة ، وأقلقت الأمويّين في صيحتها ونياحها وعويلها ، وسكبت من الدموع الساخنة على تراب البقيع ما صبغ الثرى دماً قانياً ، وهي التي عرفتها نساء المدينة وشاركتها في مصابها ، وكنّ ينتظرن خروجها من الدار ، فإذا رأينها صحن في وجهها هذه أُمّ البنين أقبلت ، وجئن معها إلى البقيع ، فكانت نياحتها ومجلس عزائها ممّا تحدّث عنه التاريخ وكتب عنها من كتب.

(وكانت أُمّ البنين تأتي وتبكي عليه عليه‌السلام ، وعلى أبي الفضل عليه‌السلام وعلى إخوته الثلاثة وتندبهم بحيث يبكي من صوتها كلّ من سمعها ، ومرّ بها حتّى مروان بن الحكم مع شدّة عدوانه كان إذا مرّ بها بكى لبكائها)[1].

أُمّ البنين بين السائل والمجيب :

وما أكثر الذين سألوا ويسألون وما زالوا يسألون ، والدافع للسؤال حبّ الاستطلاع وحبّهم للمسؤول عنه؛ ليزدادوا علماً ولتشدّ الغلاقة بين هذا وهذا ، ومثل هذه

---

(١) منتهى الآمال / عبّاس القمّي : ٦٨٩.

الشخصيّة التي أحبّها الكثير، وتعلّق بها الكثيرون، فإنّ الرجال تسأل، وحتّى النساء:

١ ـ لماذا رغب عليّ عليه السلام بالزواج بأُمّ البنين؟ وما هي دواعي هذا الزواج وقد تزوّج قبلها وبعدها، هكذا قرأنا في التاريخ، وكلهنّ نساء صالحات.

هو أن يكون عنده ولد ويربّيه كما يريد تربية فكريّة وتربية عسكريّة، وقد تحقّق لعليّ عليه السلام ذلك الحلم، وكان نِعم الولد، وهو ولده الذي اختار له اسماً في الساعات الأُولى من ولادته فسمّاه عبّاساً، وربّاه، وكان مربّياً قديراً ناجحاً، فقد عُرف عنه عليه السلام أنّه كان يُحضر أولاده في سوح القتال منذ الصغر، وإن لم يقاتلوا أو يحملوا السيف ولكن ليروا ويشاهدوا، فتقوى عزائمهم فيما بعد، وقد فعل مع ولده محمّد بن الحنفيّة، ومع ولده أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

٢ ـ هل أخذ قمر العشيرة معالمه وأفكاره وأخلاقه وآدابه من أُمّه، وماذا أخذ من أُمّه ومن أبيه، وماذا أخذ من أخويه الحسن والحسين عليهما السلام؟

الولد يأخذ من أمّه، وهي التي تغرس في ذهن ولدها كلّ المُثل، وهي المدرسة الأُولى، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، وأُمّ البنين الأُمّ الصالحة الأصيلة العربيّة، بنت الأُسرة ذات المجد والسيادة، وزوجة عليّ عليه السلام، فكيف لا تغرس في ذهن هذا الولد المبارك.

غرست فيه الولاء والإخلاص والإخوّة والطاعة لأبيه ولأخويه الحسن والحسين عليهما السلام.

٣ ـ عرفت باسمها فاطمة، واشتهرت بكنيتها أُمّ البنين، ما معنى هذه الكنية؟

ومن هو الذي كنّاها بذلك؟

وهل عُرفت هذه الكنية عند العرب قبلها وبعدها؟

البنين، والمفرد ابن، والجمع بنون، ويقابله جمع آخر الأبناء، فعلى هذا يصحّ أن يقال هي أُمّ الأبناء، وهي أُمّ البنين، وهم الأشبال الأربعة والمجاهدون الأربعة، أو الشهداء الأوفياء الذين وقفوا وقاتلوا من أجل الحسين عليه السلام، وبه عُرفت أُمّ العبّاس عليه السلام، وأُمّ جعفر، وأُمّ

عثمان ، وأُمّ عبدالله ، وهـذه الكـنية مـعروفة في التـاريخ ، وهناك سلسلة من النساء عرفن بهذه الكنية ، وهنّ أُمّهات البنين.

٤ ـ نسمع كثيراً من الرجال والنساء والفتيان والفتيات وهم يقسمون ويحـلفون ، بدافع الولاء والحبّ ، ويقولون: (وحقّ أمّ البنين) ، أو يقولون: (يا أمّ البنين) ، ويستنجد بها ويستغيث بما لها من شأن عند الله ، هل هذا قسم شرعي ، وتترتّب عليه الملازمات والآثار واللوازم الشرعيّة ؟

ليس هذا قسماً شرعيّاً ، ولكنّه حسن لإلزام السامع إذا كان يقدّس ويجلّ المقسوم به ، والقسم للـتأكـيد ، ورفـع الشكّ ، وهذا القسم عرفي لا شرعي ، والقسم الشرعي إنّما هو بأسماء الله ، وهذا الذي نسمعه مبنيٌّ على التقديس والحبّ والتكريم لهذه المرأة الجليلة ذات المنزلة في قلب هذا وهذا ، ويمـارسه الرجـال والنسـاء ، ومـن له هـوية وولاء لآل محمّد صلى الله عليه وآله ، يقسم هذا القسم وهـذا فـعل العـرف وفـعل الأحبّة ، وفيه رضا وقناعة واطـمئنان وصـدق وتـوثيق ولا مانع منه إذا أخذه العرف واستحسنه الرجال والنساء ،

وأمّا قولهم (يا أُمّ البنين) إنّما هو أنّكِ من أولياء الله ، ومخلصة لربّك ، ولكِ شأن عند الله ، والوجيه وجيه عند الله ، فما المانع من ذلك.

٥ ـ يقولون إنّها بكت وندبت وناحت على أولادها وتجاهرت في البكاء والنياحة على الحسين عليه السلام وفي المدينة ، أما كانت تحذر السلطة الأمويّة وهي بقبضة بني أُميّة ، وهذا فيه استثارة للآخرين ، ومعناه أنّ هؤلاء قتلوا أولادي ، وإذا ثبت تاريخيّاً أنّ بني أُميّة هدموا دار الحسين عليه السلام وضيّقوا على محمّد بن الحنفيّة وابن عبّاس ، ومنعوا أُمّ سلمة من البكاء على الحسين عليه السلام ، فأخفت مقتل الحسين عليه السلام ، وإذا ثبت أنّ بني أُميّة نفوا الحوراء زينب عليها السلام إلى الشام؛ لأنّها أكثرت من النياحة على أخيها وإخوتها ، فلماذا لم يمنعوها أو يضيّقوا عليها أو يسفّروها إلى الشام ، وهي التي حوّلت المدينة إلى صيحة وصياح ، ويصحب هذا الصياح صراخ وتشترك معها نساء من المدينة ومعناه أيّها القادم ، أيّها العزيز ، هذا مأتم المقتول الذي قتله بنو أُميّة ، قتل الحسين عليه السلام بقي في الخفاء حتّى ورد زين العابدين عليه السلام ، ولمّا

ورد زين العابدين عليه السلام لم يبق أحد في المدينة إلّا وخرج من داره لاستقباله نساءً ورجالاً ، وقد ضعف سلطان بني أُميّة ؛ لأنّ الدنيا كلّها أصبحت ضدّهم ، وتشتمهم ، والوالي في المدينة لا يستطيع أن يسيطر على الأمر ؛ لأنّ المدينة ومن فيها خرج لاستقبال موكب السبايا ، وكانت أُمّ البنين واحدة من بين النساء ، وبعد ذلك كانت تخرج من دارها وتأتي إلى البقيع وتقرأ شعراً:

كانت بنون لي أُدعى بهم   واليوم أصبحت ولا من بنين

٦ ـ الناس تقرأ لها سورة الفاتحة ، نساءً ورجالاً ، وعند الناس عادة إذا نسي أحدهم شيئاً قيل له اقرأ الفاتحة لأُمّ البنين ، هل في هذا محذور شرعي أو هي عادة مختلقة خلقها عوامّ الناس ، وحتّى النساء إذا نسيت شيئاً قرأت الفاتحة لها وعثرت عليه ، هل هذا جائز وفيه ثواب للقارئ نفسه ، وللمقصود في قراءة الفاتحة ؟

وما هو المانع لو قرأت سورة الفاتحة لوليّ من الأولياء ، ولمؤمنٍ له شأن عند الله ، وفي هذا سرّ غريب قد لا نستطيع

تفسيره ، وقد جرّبه الكثير ، ولعلّ لهذه المرأة سرّاً عند الله ومنزلة عند الله ؟

٧ ـ كثرت النذور والولائم وإطعام الطعام لها ، ونسمع ونشاهد أنّهم يصنعون الطعام ويقولون هذا من أجل أُمّ البنين في ذمّتي أن أصنع لها طعاماً وأبذله للفقراء والجياع ؟

هذا ليس من النذور الشرعيّة التي يجب الوفاء بها ، النذور لله وبصيغةٍ شرعيّةٍ وبقصدٍ واختيار ، أمّا أنّه يلزم نفسه وينوي ويقصد في اليوم الفلاني في الليلة الفلانيّة أن أصنع طعاماً فهو بعنوان إطعام الطعام للفقراء والجياع ، فيأكل منه الفقير المؤمن المحبّ الموالي فهو صدقة عن أُمّ البنين ، وطعام بهذا العنوان على حبّها وعلى شرفها ، فما المانع الشرعي لو أكل الفقراء المحتاجون من هذا الطعام ؟! وإطعام الفقراء على حبّ آل محمّد صلى الله عليه وآله فعل حسن مقبول وفيه سرور لآل محمّد صلى الله عليه وآله .

أما كان عليّ عليه السلام يحبّ الفقراء ويقصدهم إلى دورهم ، وهؤلاء فقراء مسلمون يأخذون هذه الوليمة تبرّكاً ؛ لأنّها

باسم هذه المرأة المؤمنة ، فأتذكّرها وأترحّم عليها وأقول جزاك الله خير الجزاء أيّتها المرأة الصالحة ، رضوان الله عليك ، أشهد لقد كنت صادقة مخلصة لعليّ عليه السلام وللزهراء عليها السلام والحسين عليه السلام .

٨ ـ هي كلابيّة ، من أُسرة بني كلاب ، وهل هم بنو كلب أو بينهما تباعد في النسب والمكان والاسم ؟

فرق بين بني كلاب وبين بني كلب ، بنو كلاب بطون كثيرة ومتعدّدة ، تجاوزت الأربعين ، أمّا بنو كلب فقبيلة عربيّة متنصّرة ، بقيت على النصرانيّة ، ودخل فيها أفراد في الإسلام كامرئ القيس الكلبي ، أسلم أيّام عثمان ، وأعطى بناته الثلاثة : واحدة لعليّ عليه السلام ، وواحدة للحسن عليه السلام ، وواحدة للحسين عليه السلام ، وهنّ المحياة وسلمى والرباب ، وهي أُمّ الرضيع المرأة الوفية .

لماذا سمّت العرب قبائلها وبطونها بهذه الأسماء : بنو أسد ، بنو كلب ، بنو نمر ، وبنو كلاب وغير ذلك ؟

هذا من واقع حياتهم وحضارتهم ، فهم يألفون الكلاب ، ويطاردون الأسود والحيوانات ، فاعتبروا ذلك رمزاً وشعاراً لبطولتهم وشجاعتهم .

٩ ـ أحد أولادها ـ وهو الأكبر ـ العبّاس ، وأحد أولادها جعفر ، وأحد أولادها عثمان ، وأحد أولادها عبدالله ، فلماذا هذه الأسماء ، وهل هذا لأبيهم أو لأُمّهم ؟

وضع الأسماء واختيارها قد يكون للأب أو للأُمّ أو للجدّ ، ولعلّ ذلك اختيار عليّ عليه السلام ، فأسمى ولده جعفراً حبّاً لأخيه البطل جعفر الطيّار بطل مؤتة ، وأمّا تسميته بعثمان حبّاً وتذكرة للصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه ، وأمّا تسميته بعبّاس ، وهو أحد أسماء الأسد ، أو تذكرة بعمّه العبّاس بن عبدالمطّلب ، وأمّا عبدالله فحبّهم لعبدالله والد النبيّ ، فقد أسمى عليّ ولديه عبدالله الأكبر والأصغر ، وأسمى ولديه محمّد الأكبر والأصغر حبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله .

١٠ ـ هل هي الزوجة الرابعة أو الخامسة ، وهل تزوّج عليّ عليه السلام بعدها بزوجة أو هي آخر زوجة ؟

أوّل زوجة لعليّ عليه السلام هي السيّدة بنت النبوّة ، وفرع الرسالة ، بنت خاتم الرسل صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام ، والزوجة الثانية هي أُمامة بنت أُختها حسب وصيّتها ، والزوجة

الثالثة هي خولة بنت جعفر من بني حنينيّة ، والزوجة الرابعة هي أسماء بنت عميس ، ولها ولد قتل في كربلاء ، والزوجة الخامسة هي أُمّ البنين.

وتزوّج عليّ المحياة بنت امرئ القيس الكلبي ، وتزوّج النهشليّة وهي آخر زوجة له ، والغرض السامي والأسمى هو تقريب القبائل إلى البيت النبوي عن طريق المصاهرة والاختلاط والمعاشرة ، ورغم ذلك فإنّ كثيراً من القبائل والأُسر خدعتهم السياسة الأمويّة ، وانحرفوا وانضمّوا إلى صفوف الأمويّين ، والأفظع من ذلك أنّ بعض القبائل صاهرت بيت النبوّة ، وأحسنوا لهم ، ولكنّ الأطماع وسياسة المكر وسياسة العنف والخداع والكذب أخذت كثيراً من القبائل ، وجدّدت سيوفها وحاربت الحسين عليه السلام في كربلاء ، وعلى ذلك ألف دليل ودليل ، فبنو كلاب حضروا كربلاء ، ويقدمهم عبدالله بن حزام الكلابي ، وبنو فزارة أخوال الحسن المثنّى حضروا كربلاء ، وكان لهم دور معلوم ، وكانوا جنوداً تحت راية ابن سعد.

لعن الله من قتلكم وظـلمكم ، لعـن الله أُمّـة أسرجت وألجمت وتهيّأت لقتالكم ، لعن الله أُمّة حاربتكم بالأيدي والألسن ، قاتل الله تلك العروبة التي ادّعت العروبة بهتاناً وكذباً ، وهم يسمعون واعية آل محمّد صلى الله عليه وآله .

ورجعوا وهم يفخرون بالخطيئة الكـبرى والذنب الذي لا يغفر ، رجعوا يفخرون بأنّهـم قتلوا الحسين عليه السلام ومـدّوا أيديهم إلى قتاله.

أُمّ البنين امرأة من أهل الجنّة:

ولا عجب إذا كانت من أهل الجنّة ، وقد بشّر الرسول رجالاً ونساء بالجنّة من قبل؛ لأنّهم كانوا مؤمنين عاملين مجاهدين والجـنّة أُعدّت للمتّقين ، أُعدّت لأهـلها ، ومـن أهلها ؟ إنّهم العلماء ، إنّهم المجاهدون ، إنّ الله لا يضيع عمل عامل من ذكر وأُنثى ، إنّ الحسين عليه السلام وأصحاب الحسين عليه السلام كواكب تتلألأ في سماء الجنّات ، ازداد عـزمهم ، وقـويت عزائمهم ، واشتدّت سواعدهم؛ لأنّهم رأوا الجـنّة ، وسمـعوا صوت الحسين يناديهم هذه الجنّة قد فُتحت أبوابها فتباشروا

وتسابقوا وتمازحوا ، وهم في ساحة الوغى ، وبذلوا جزاهم الله خير الجزاء ، لقد صبروا وإنّ الله مع الصابرين ، وعشقوا الجنان وما وهنوا ولا ضعفوا ولا استكانوا وسيجزي الله الصابرين ، وأصحاب الحسين عليه السلام فيهم الرجل والمرأة ، وكلّ من أسهم وبذل فهو من أصحاب الحسين عليه السلام ، وله دوره في قضيّة الحسين عليه السلام .

وأُمّ البنين ، هي المرأة الصالحة ، إنّها المرأة الفضلى رضي الله عنها ، ورضي عنها أبو الحسن والحسين عليهما السلام ، فما قرأنا سطراً واحداً ، ولا روايةً نادرةً أنّ عليّاً اشتكى منها ، أو هي اشتكت منه ، إنّها .. وإنّها .. ، إنّها القدوة لكلّ امرأة تريد الحياة الزوجيّة الصالحة .

أيّتها المرأة الفضلى ، تعالي إلى هذه المرأة المثلى ، أُقدّم هذه النصائح إليك ، ولعلّ الله أن ينزل الهداية في قلبك ، وهذا درس بإيجاز للمرأة المسلمة التي تعيش الأزمات في هذا الجوّ الساخن؛ فإنّ أُمّ البنين خير قدوة لك في الصبر والثبات والبذل والعطاء والشكر والثناء لله؛ لأنّها أعطت أولادها

هديّة من أجل فاطمة الزهراء عليها السلام .

وقد ورد على ألسن الخطباء والمحدّثين أنّها لمّا أخبرت بأنّ ولدها قطعت كفّاه من أجل الإمام الحسين عليه السلام قالت: «الحمد لله الذي جعل ولدي فداءاً لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله».

أيّتها المسلمة ، أُقدّم لك هذا الدرس الموجز في الفقه الأخلاقي ، عليك أن تميّزي الخطأ عن الصواب ، والمفيد عن عديم الفائدة. كوني كما يريد الله ، واسلكي طريق الله ، وابتعدي عن طريق الشيطان ، فإنّ صراط الله هو المستقيم ، وهو النهاية المباركة ، والسعادة والخلود ، فإلى الله تعالى ، وإلى الفضيلة ، وإلى الأخلاق أيّتها المرأة المسلمة المباركة ، يا بنت الإسلام.

دور المرأة المسلمة في واقعة كربلاء:

واقعة كربلاء أقامت الدنيا وأقعدتها ، وغيّرت وجه الحياة ، وكشفت السرائر ، وفي موقف الحسين عليه السلام أسرار وانكشافات واختيارات ، وكان للمرأة اليد الفاعلة ،

وللرجل الدور المبارك ، وللفتيان الموقف المشرّف.

تعال واقرأ التاريخ لتطّلع على هذا الدور ، فقد حضرت في كربلاء أكثر من امرأة ومعهنّ أولادهن وأزواجهنّ وإخوتهنّ ، أمّا أمّ البنين ما قرأنا في سجلّها أنّها كانت غير راضية بسفر أولادها ، أو أنّها تتمنّى عودتهم سالمين ، ولكنّ أشعارها كانت تعبّر عن رضاها وشكرها وفخرها ، إنّ أولادها وقفوا هذا الموقف ، وقد أكثرت السؤال عن ولدها الأكبر ، فلمّا أُخبرت بموقفه انشأت تقول : « يا ليت شعري كما أخبروا... ».

وقد دار الحديث بينها وبين شقيقة الحسين عليه السلام عند عودتها عن بطولات أبي الفضل عليه السلام ، ولكنّ الحوراء زينب عليها السلام أخبرتها عن موقف ذلك البطل المجاهد ، وكانت تكثر من الحمد والثناء لله تعالى ، وليست هي تجيد البكاء أو تنظم الشعر فحسب ، أو هي امرأة بسيطة ساذجة وأولادها وإخلاصهم وتفانيهم وحبّهم للحسين دليل على إخلاص الأُمّ ووفائها وكلماتها وتصريحاتها مرآة تعكس لنا تلك

الروح الطاهرة المباركة الخيّرة، جزاها الله خير الجزاء، وحشرها مع سيّدة النساء؛ لأنّها في قمّة الوفاء، وفي غاية الإخلاص.

فأين المرأة المسلمة من هذه المدرسة، ومن الشجرة المباركة التي غرست في العروبة النظيفة وأثمرت وكان ثمرها البطولة والتضحية والشهامة؟

هذه أُمّ البنين:

وكثر الحديث عنها منذ أقدم الأزمنة، ومهما كثر فهو دون مستواها؛ لأنّها في قمّة التضحية وفي غاية الوفاء، في قضيّة الحسين تحمل الولاء والإخلاص منذ اللحظة الأُولى يوم انتقلت إلى دار الإمامة، إلى دار عليّ البسيطة من حيث الشكل، والكبيرة من حيث معانيها وأنوارها، دخلت دار عليّ عليه السلام وهي تشكر الله على هذه النعمة، وعلى هذا التوفيق حيث صارت خادمة مخلصة للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام، وتقوم بشؤون أولاد فاطمة عليها السلام بعد رحيلها إلى أبيها.

جوانب من شخصيّتها:

وهي التي أحبّها المسلمون، وأصبح نشيدهم (يا أُمّ البنين)، الأصالة، النسب الوضّاح، فكلّ من تحدّث عن ولدها الأخ المواسي، عن ولدها الكبير، وعن أولادها الأبطال تحدّث عنها: (وأُمّه أُمّ البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر المعروف بالوحيد بن كلاب)[١].

وذكر ابن شهرآشوب وهو يعدّد زوجات الإمام عليّ عليه السلام وأولاده ذكوراً وإناثاً:

(ومن أُمّ البنين بنت حزام بن خالد الكلابيّة: عبدالله، وجعفر الأكبر، والعبّاس، وعثمان)[٢].

وتحدّث السيّد بحر العلوم في مقتل الحسين بإسهاب عن أُمّ البنين، وعن آبائها وأُمّهاتها، وعن نسبها:

(وأُمّه وأُمّ إخوته الثلاثة، ويقصد العباس، فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر بن صعصعة)[٣].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ٨٩.

(٢) الزيارة والبشارة /أحمد المستنبط: ١٣٠.

(٣) المصدر المتقدّم: ٤٠٣.

وأمّا الأُمّهات فقد ترجمها الباحثون، وكتبوا أسماء الأُمّهات: (وأُمّها شمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب)[١].

وقال السيّد بحر العلوم في مقتل الحسين عليه السلام:

(وتكنّى أُمّه ـ أي العبّاس عليه السلام ـ بأُمّ البنين قبل تزويجها بالإمام عليّ عليه السلام؛ لأنّها من بيت أُمّ البنين العامريّة التي قيل فيها:

نحن بنو أمّ البنين الأربعة   الضاربين الهام وسط المجمعة

وليس في العرب أشجع من آبائها وإخوانها وكانت أمّ البنين من فضليات النساء العارفات بفضل أهل البيت منذ نشأتها في بيت أبيها الزعيم الكبير، وكانت من بيت كرم وشجاعة وفصاحة ومعرفة، وكان آباؤها من سادات العرب وزعمائهم»[٢].

وقال الحجّة الفقيه الشيخ هادي آل كاشف الغطاء في المقبولة الحسينيّة:

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام / السيّد محمّدتقي آل بحر العلوم: ٤٠٣.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام / السيّد محمّدتقي آل بحر العلوم: ٤٠٤.

«أمّ البـنين طـابت الأبـناء   منك كمـا قد طابت الآبـاء
أُمّ الأُسود من بني عمر العلى   أُمّ الحــماة والأُبــاة النـبلاء
أُمّ أبي الفــضل وأُمّ جـعفر   وأُمّ عــبدالله شـبل حـيدر
وأُمّ عـثمان الذي سمّاه   باسم ابن مظعون الأب الأوّاه
الأنجـبين الطـاهرين أنـفسا   الأكرمين الطيّبين مغرسا»[١]

وقال أحد الكتّاب الباحثين، وهو يترجم العبّاس[٢] بن عليّ:

(أمّا الأُمّ الجليلة المكرّمة لأبي الفضل العبّاس عليه السلام فهي السيّدة الزكية فاطمة بنت حزام بن خالد، وأبوها حزام من أعمدة الشرف في العرب، ومن الشخصيّات النابهة في الشهامة والشجاعة وقرئ الضيف، أمّا أُسرتها فهي من أجلّ الأُسر العربيّة، وقد عُرفت بالنجدة والشهامة، وقد اشتهر منهم جماعة بالنبل والبسالة، منهم عامر بن الطفيل وهو أخو عمرة الجدّة الأُولى لأُمّ البنين، ألمع فرسان العرب

(١) المقبولة الحسينيّة التي نظمها الفقيه الحجّة كاشف الغطاء.
(٢) العبّاس رائد الكرامة والفداء / باقر شريف القرشي: ٢٨.

في شدّة بأسه ، وقد ذاع اسمه في الأوساط العربيّة وغيرها ، وبلغ من عظم شهرته أنّ قيصر إذا قدم عليه وافد من العرب فإن كان بينه وبين عامر نسب عَظُم عنده ويجلّه ويكرمه ، وإلّا أعرض عنه.

عامر بن مالك ، وهو الجدّ الثاني للسيّدة أمّ البنين ، وكان من فرسان العرب وشجعانهم ، ولقّب بملاعب الأسنّة ؛ لأنّه يلعب بالرماح كلعب الصبيان بالكرة؛ لمهارته وللشجاعة الفائقة ، وبالإضافة إلى شجاعته فقد كان من أُباة الضيم.

الطفيل ، وهو والد عمرة الجدّة الأُولى لأُمّ البنين ، كان أشهر شجعان العرب ، وله أشقّاء من خيرة فرسان العرب ، منهم ربيعة وعبيدة ومعاوية ، ويقال لأُمّهم أمّ البنين ، وقد وفدوا على النعمان بن المنذر فرأوا عنده الربيع بن زيادة العبسي ، وكان عدوّاً وخصماً لهم ، فاندفع لبيد وقد تميّز من الغيض ، فخاطب النعمان بأبيات منها:

يا واهب الخير الجزيل من سعةٍ

نحن بنو أمّ البنين الأربعة

ومنهم عروة بن عتبة ، وهو والد كبشة الجدّة الثانية لأُمّ البنين ، وكان من الشخصيّات البارزة في العالم العربي ، وكان يغير على ملوك عصره)[١].

وحديثنا عن هذه السيّدة حديث طويل جميل مقبول ، فقد قال الخطباء الفحول ، وهم صادقون ، أنّها لمّا زُفّت إلى دار الإمام عليّ عليه السلام ومعها جمع من عشيرتها وإخوتها وأهل بيتها ووصلت إلى دار عليّ عليه السلام قالت لهم: امهلوني حتّى أدخل وحدي لدار سيّدي ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام ، ودار سيّدتي ومولاتي فاطمة الزهراء لأطلب الإذن من سيّديّ الحسن والحسين وسيّدتي الحوراء ابنة فاطمة عليهما السلام ، ودخلت وحدها ، ووقفت بين يدي الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام وقالت: سيّديّ ، يا آل بيت المصطفى ، وأبناء فاطمة الزهراء ، أنا جئت خادمة لكم أوَ تقبلوني أن أكون خادمة ، فرحّب بها الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام ، وهذا أوّل لقاء يوم ثبّتت قدميها وتشرّفت

---

(١) العبّاس رائد الكرامة والفداء / باقر شريف القرشي: ص٢٨.

بالدخول في بيت الإمامة ، صرّحت وأوضحت ولاءها للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام ، حتّى قال أحد الخطباء ، وهو صادق ، قالت أمّ البنين يوماً لسيّدنا ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام : يا أبا الحسن ، لي إليك حاجة ؟

فقال : ما حاجتك ، وإنّي أقضيها لك إن شاء الله .

قالت : لا تناديني بفاطمة ؛ لأنّي هجست وأدركت أنّ الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام والحوراء زينب عليها السلام يتأثّرون وتبدو عليهم علائم الحزن ، ويتذكّرون أُمّهم ، ادعوني يا أُمّ البنين ، أو قل يا أُمّ جعفر ، أو يا أُمّ عبدالله ... لا أُريد أن أُدخل الأذى على قلوب أبناء فاطمة عليها السلام .

أشهد أنّها طاهرة في ذاتها ، أصيلة في نسبها ، امرأة في قمّة القمم من الخُلق والتواضع والمحبّة والولاء والإخلاص ، ولذلك كانت موفّقة في كلّ مراحل حياتها الزوجيّة وسيرتها وأيّامها في بيت عليّ ، ونشأت وكبرت ونمت وازدهرت وأثمرت هذه العلاقة ، وهذا الولاء بأنّ نتاجها وأولادها خير أنصار وخير إخوة .

وقال أحد الباحثين ، وهو يتحدّث عن هذه السيّدة الفاضلة الأصيلة المباركة الموفّقة الشريفة ، قال:

رعايتها لسبطي النبيّ ﷺ :

وقامت السيّدة أمّ البنين برعاية سبطي رسول الله ﷺ ، وقد وجدا عندها من العطف والحنان ما عوّضهما عن الخسارة الأليمة التي منيا فيها بفقد أُمّهما سيّدة نساء العالمين ، فقد توفّيت وعمرها كعمر الزهور ، فقد ترك فقدها اللوعة والحزن في نفسيهما ، لقد كانت السيّدة أمّ البنين تكنّ في نفسها من المودّة والحبّ للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام ما لا تكنّه لأولادها ، لقد قدّمت أمّ البنين للحسن عليه السلام والحسين عليه السلام خدمة ورعاية لم يعرف التاريخ أن ضرّة أخلصت لأبناء ضرّتها وقدّمتهم على أبنائها سوى هذه السيّدة الزكيّة ، فقد كانت ترى ذلك واجباً ، وبلغ من برّها للسبطين أنّهما مرضا وكانت ترعاهما كالأُمّ الرؤوم ، وتقابلهما بالمزيد من الحنان حتّى برءا من مرضهما»[1].

---

(١) العبّاس رائد الفداء والكرامة / باقر شريف القرشي.

مكانتها عند أهل البيت عليهم السلام :

ولهذه السيّدة مكانة ومنزلة في نفوس أهل البيت ، فيرونها ذات منزلة ، ويشكرون فضلها؛ لأنّها فقدت أربعة من أبنائها ، وولدين محمّداً والقاسم لولدها الأكبر ، ولا ينسون كلمتها مع الشاعر بشر بن حذلم وهي تقول : متى سألتك عن أولادي ؟

أولادي ومن يمشي على الأرض فداءً لنعل سيّدي ومولاي الحسين عليه السلام ، أخبرني عن ولدي الحسين عليه السلام ... أيّ امرأة هذه ، وأيّ درجة من الولاء. إنّها نفس ملئت بالولاء للحسين عليه السلام ، أيّ امرأة هذه يخبرها الناعي بموت أولادها ليس واحداً ، ولكن قد تعلّق قلبها بالحسين عليه السلام ، والحسين هو الكلمة التي ما غابت عن شفتيها ، وهو الكلمة التي انطبعت على لسانها وفي قلبها وماتت وهي تردّد حسين ، وحقّاً لو قال أهل البيت أُمّنا أمّ البنين ، ونستطيع القول إنّ أمّ البنين أفضل زوجات الأئمّة بعد أُمّ الحسن والحسين عليهما السلام فاطمة عليها السلام بنت النبوّة ، وأيّ واحدة كان لها مثل ما كان لهذه السيّدة العربيّة والزوجة الوفيّة صاحبة

الخيال الواسع التي تصنع القبور من تراب ، وتخاطبها بأحاديث شجيّة عاطفيّة حزينة : أولادي أنا لا أبكي عليكم وإنّما بكائي على ولدي الحسين عليه السلام ، هذه صفحة واحدة من حياتها ، وقد سجّل أحد الباحثين مكانتها عند أهل البيت ومكانتها عند المسلمين ، قال هذا الباحث : (ولهذه السيّدة الزكيّة مكانة متميّزة عند أهل البيت ، فقد أكبروا إخلاصها وولاءها الإمام الحسين عليه السلام ، وأكبروا تضحيات أبنائها المكرّمين في سبيل سيّد الشهداء عليه السلام) .

يقول الشهيد ، وهو من كبار فقهاء الإمامية : (كانت أمّ البنين من النساء الفاضلات بحقّ أهل البيت عليهم السلام ، مخلصة في ولائهم ، ممحّضة في مودّتهم ، ولها عندهم الجاه الوجيه ، والمحلّ الرفيع ، وقد زارتها زينب الكبرى بعد وصلها المدينة تعزّيها بأولادها الأربع كما كانت تعزّيها أيّام العيد)[1] .

ويستمرّ هذا الباحث فيقول :

(وتمثّل هذه السيّدة الجليلة مكانة مرموقة في نفوس

---

(١) و (٢) العبّاس رائد الكرامة والفداء / باقر شريف القرشي : ٣٠ .

المسلمين ، وأنّه ما التجأ إليها مكروب وجعلها واسطة إلى الله إلّا كشف عنه ما ألمّ به من المحن والخطوب ، وهم يتذرّعون إليها أن ألمّت بهم كارثة من كوارث الزمن أو محنة من محن الأيّام.

ومن الطبيعي أن تكون لها هذه المنزلة الكريمة عند الله ، فقد قدّمت في سبيله أفلاذ أكبادها ، وجعلتهم قرابين لدينه)[١].

والحديث عن هذه المؤمنة الجليلة ، وعن أُمّ جعفر وأُمّ عبدالله وأُمّ عثمان وأُمّ البطل العظيم الذي صار قدوة وضُرب به المثل الأعلى في الصبر والوفاء الصادق ، صلوات الله عليك يا أبا الفضل ، وعلى أُمّك المؤمنة المباركة ، وعلى إخوتك الذين بذلوا دماءهم من أجل قضيّة مقدّسة.

والحديث عن هذه السيّدة الشريفة فيه درس للمرأة التي تطلب المنهاج في الحياة ، وفي هذه المسيرة المتعثّرة ، وليس الحديث عن امرأة كأُمّ البنين فيه نقطة ضعف ، فأين المرأة الصالحة الفاضلة المستقيمة في حياتها عبرة للنساء القادمات

إلى هذه الحياة ، وفي ذلك وجدنا آيات قرآنـيّة ، وورد في القرآن المـؤشّرات والمـنبّهات والمـدائـح الكـثيرة للـنساء الفاضلات اللاتي كنّ من قبل.

ونعود إلى باب هذه المرأة الشريفة في قومها وعشيرتها ، الشريفة في نسبها وحسبها ، لنطرق بابها لعلّنا نأخذ مـن شرفها قطعة ، أو نقرأ صفحة ونعطيه للمرأة التي تفتّش عن الشرف والاستقامة.

كانت شريفة في عشيرتها ، وقبل أن تـنتقل إلى بـيت عليّ عليه‌السلام ، إلى بيت الإمامة ، كانت شريفة ، والشرف عند العرب له مقاييس صعبة ، ويقولون هذه امـرأة شريـفة ، وهذا رجل شريف ، ويـقولون امـرأة كـريمة ، وكـريمة في قومها ، فقد تكون كريمة من جهة واحدة ، أو تكون كريمة من جهتين ، في حسبين : حسب الآبـاء والأجـداد ، وحسب الأُمّهات والجدّات ، فإذا كانت كريمة من جهتين قالوا : كريمة الحسبين ، أو كريمة الأبوين ، وهذا النوع في العرب قليل ، وهذا القليل هو صاحب الفضل وإليه يقصدون ، فإذا عُرفت

المرأة بذلك افتخر بها قومها، وتحدّثوا عنها، وقد نبغ في دنيا العرب نساء كريمات في صدر الإسلام فقالوا كريمة آل فلان، وكريمة آل فلان، وقد قرأنا في الشعر العربي أشعاراً كثيرة، فإذا نبغت المرأة في قومها وأُسرتها شدّت إليها الرحال وتحدّث عنها علماء النسب، وهذا ما أشار به عقيل على أخيه عليّ عليه السلام عندما استشاره ليستأنس برأيه، فأشار عليه: أين أنت من فاطمة بنت حزام الكلابيّة، وهذا مؤشّر على أنّ المرأة كانت بدرجة عالية، وذات شهرة في حسبها ونسبها، فهي شريفة بني كلاب، وشدّ الرحال عقيل، وهو على دراية وعلم.

ثمّ أضافت إلى شرفها شرف المضاجعة، وللشرف مقاييس عند الأُمم وعند العرب، وهناك مقاييس خطّها وثبّتها وشرّعها الإسلام، وكلّها مجتمعة عند هذه المرأة الوحيدة المباركة، فقد أخذت في أطراف الشرف من قبل ومن بعد، الشرف العربي، الشرف الإسلامي، أحبّت عليّاً عليه السلام، ومن أحبّ عليّاً عليه السلام فقد نجا وربح، إنّها شريفة

فاختارها عقيل لأخيه ، فعلى الزوج قبل أن يُقدم أن يختار ، وعليه أن يسأل ، لا تأخذه الصور البرّاقة ، فللزوج الحقّ الشرعي بالاختيار ، وللزوجة حقّها الشرعي بالاختيار ، وبذلك يتمّ القبول ، ويتمّ العقد ويتحقّق الرضا ، ولكنّ الزوج والزوجة لا يعرف كيف يختار تأخذ به النظرة الخاطفة ويقع في شبكة الصيّاد ، ولا يدري كيف الخلاص ، وكيف النجاة.

فهذا عليّ عليه السلام لم يكن متسرّعاً ، وهو عليّ في أفكاره ، وفي معلوماته التي استقاها من التجارب والمعاشرة ، ومع ذلك سأل واستشار ، وكان زواجاً موفّقاً انتقلت هذه الزوجة المباركة من بيت أصيل كلّه مفاهيم خيّرة وكرم وبطولة وعفاف .

ثمّ أضافت إلى شرفها العربي شرف المضاجعة في بيت الإمامة ، فهي زوجة عليّ عليه السلام ، وهي فاطمة الكلابية ، وهي تقطر ولاءاً وصفاءاً وإخلاصاً لعليّ عليه السلام وللحسين عليه السلام ، رضيت بعليّ ورضي عليّ عليه السلام عنها ، وهنيئاً للزوجة المسلمةإذا أخذت من سيرتها لتكون بمسيرة هذه الصالحة ،

ولولا إخلاصها لله ولرسوله ولعليّ لما بقي اسمها مغروساً في قلوب المؤمنين وعلى ألسنتهم.

الحبّ والولاء فرض ونصّ قرآني:

أحبّت حسيناً، وأحبّت عليّاً من قبل، وأخلصت لهذا البيت، والحبّ والولاء فرض وفريضة، وبذلك نصّ القرآن: ﴿ قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾[1]، ومودّة القربى فريضة واجبة على كلّ مسلم عرف الإسلام ديناً وأخذ به، وإذا أخذ بالقرآن فعليه أن يأخذ بالسنّة النبويّة.

والقرآن والسنّة متّفقان في وجوب الأخذ والودّ والاتّباع لأهل هذا البيت، البيت النبويّ الطاهر، بيت القرآن، وبيت النبوّة والإمامة، ونادى رسول الله:

«إِنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَسَفِينَةِ نُوحٍ».

وقال: «إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي»، وحديث الثقلين حديث رواه جميع الصحابة، ويجب الأخذ

---

(١) الشورى: ٢٣.

به ، وأجاب رسول الله بعدما سئل من هم أهل بيتك وقرابتك الذين أوجب الله علينا طاعتهم ؟ فقال: « فاطِمَةُ وَأَبُوها وَبَعْلها وَبَنُوها »[١].

وقد تسابق الموفّقون من الصحابة إلى حبّ آل البيت في الصدر الأوّل الإسلامي ، فكانت الجذور الأُولى والغرس المبارك في التشيّع ، ثمّ نمت وأثمرت وتكاثرت ، فكان الرجل المؤمن والمرأة المؤمنة أمثال أُمّ سلمة وغيرها.

وجاء دور أمّ البنين المرأة التي عرفت عليّاً وأحبّته أكثر من حبّ الزوجة لزوجها ، وأخلصت له لا لأنّه زوج وهي زوجة ، وإنّما هو إمام تجب طاعته ، أحبّته لله ، وهذا هو الفوز العظيم ، وأُعطيت الثواب الجزيل ، وهذا هو الشرف الثالث الذي أضافته إلى شخصيّتها وهو الإخلاص لله والرسول والولاء إلى عليّ.

وأحبّت الحسين عليه السلام ، ومن أحبّ حسيناً أحبّه الله ، ومن

---

(١) هذه الأحاديث مرويّة في كتب المسلمين من الفرقتين ، ومن أراد زيادة المعرفة فعليه بمراجعة الكتب التالية : المراجعات / شرف الدين ، والإفصاح / الشيخ المفيد.

أحبّ حسيناً وأخلص له أكرمه الله «أَحَبَّ اللهُ مَنْ أَحَبَّ حُسَيناً».

فكانت هذه المرأة في الدرجة العليا من الإخلاص والحبّ للحسين، لا مثيل لها في النساء في حبّها وإخلاصها للحسين، فقد غلغلت هذا الإخلاص في قلوب أبنائها، فكانت توصيهم، وأكثرت من الوصايا، وأخذوا بوصاياها، التزموا بها، وكم أوصت أولادها بالحسين عليه السلام، وسمعوا منها، وكانت تقدّم الحسين عليه السلام على أولادها، وكانت تقول لهم: أنتم أبناء عليّ، وهذا ابن فاطمة، وهي بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخلص أولادها للقضيّة الحسينيّة، فقد أخذوا عنها الكثير، فكانت توصيهم حتّى عند سفرهم إلى العراق: أولادي، أُوصيكم بأخيكم الحسين، لا تقصّروا عن نصرته، فلمّا سمعوا كلامها بكوا وأجابوها والدموع الحارّة تتقاطر: يا أُمّاه، أتوصينا بسيّدنا ومولانا، والله إنّ أرواحنا فداءً لروحه، لننعمنّك عيناً، وأدّوا ما عليهم، وبذلوا دماءهم وأرخصوها، وشهدت لهم ساحة كربلاء، هبّ أولاد عليّ وهم يتسابقون إلى الشهادة جزاهم الله خير الجزاء.

الكرامات الكثيرة:

لهذه المرأة سرّ لا نستطيع كشفه، وحقيقته لا يمكن الوصول إليها، فقد صدرت عنها الكرامات الكثيرة، وقد شهد بها الكثير، ولو أردنا أن نضع إحصائيّة لهذه الكرامات لكان كتاباً من الكتب الجامعة، فقد استمعنا لكثير من المصابين بالأمراض المزمنة، والتي أتعبت الأطبّاء وأتعبت أولياء أُمورهم، وتوسّلوا بأُمّ البنين ونجحت وحقّقت الغرض، وأكثر من ذلك كثيرون من وقعوا في تهم وأزمات، ولكنّ الله فرّج عنهم عندما التجأوا إلى الله، وهو السبب الأكبر، وتوسّلوا بهذه المؤمنة الصالحة، فقد سمعنا من أهل النجف وأهل بغداد وغيرهم.

فقد تحدّث أهل النجف عن الكرامة الفوريّة السريعة التي أذهلت عقول الحجّاج من العراقيّين وغيرهم، يوم رجع أهل النجف إلى المدينة المنوّرة، وصنعوا وليمة في المدينة باسم طعام أمّ البنين، ووضعوا قدورهم عند دار أحد السعوديّين المدعو ابن جمبزان، وفتح بابه وسألهم، فقالوا: نحن من الحجّاج المسلمين، ونريد أن نصنع طعاماً ونوزّعه على

الحجّاج، وهي عادتنا أن نصنع هذا الطعام في هذه الأيّام باسم زوجة الإمام عليّ، أمّ البنين، فتهوّر عليهم، ورفع صوته بالسبّ والشتم بلهجته البدويّة الحجازيّة (وش أمّ البنين)، ثمّ عمد إلى القدور وإلى الطعام برجله وكفأها ورمى التراب عليها، فوقف هؤلاء حيارى، والتجأوا إلى الله، وتوسّلوا، وقالوا: يا أمّ البنين، إن كنت أمّ البنين نريد منك كرامة، وسرعان ما سقط الرجل على الأرض يشكو ألماً في بطنه وأمعائه، ونقل إلى المستشفى، وفارق الحياة، ولمّا علم أهله جاءوا معتذرين من الحجّاج ويتوسّلون بهم أن يصنعوا الطعام عند باب دار الرجل، وفعلاً حصل ذلك، هذه واحدة من ألف وهي كثيرة، زادنا الله تعلّقاً بها، وإيماناً واعترافاً بمنزلتها، ونسأل الله أن يوفّق أبناءنا على السير على هذا المنهاج الحسيني.

أمّ البنين وأصالتها:

هذا هو العنوان الأوّل في اختيارها لعليّ، والعروبة والأصالة مقياس، وثمن للمرأة في الاختيار، ولذلك برزت

وفاقت غيرها ، وأشار عقيل على أخيه بالزواج منها بعد فقد فاطمة ، دخل على أخيه عليّ وحبّذ له الزواج ، وقال : أين أنت من فاطمة بنت حزام الكلابيّة؛ فإنّه لا يوجد في العرب أشجع من أهلها وأُسرتها ، فكان زواجاً واختياراً موفّقاً ، وكان عقيل هو الخاطب ، وشدّ الرحال إلى حيّ بني كلاب ، واستقبلوه ؛ لأنّه ابن شيخ الأبطح ، ورحّبوا به ، واستقبله بنو كلاب ؛ لأنّه شيخ من شيوخ قريش؛ ولأنّه علم تشدّ إليه الرحال في معرفة أنساب العرب ، والحكم على هذه القبيلة وتلك ، لها أو عليها ، في الكرم واللئام ، ومعرفة الأُمّهات ، ومعرفة الأصيل والهجين ، هذا هو عقيل بن أبي طالب. وأخبرهم عقيل بالقصد الذي جاء من أجله ، ورضي الجميع ، ورضي أبوها؛ لأنّ هذه المصاهرة شرف وتشريف وكرامة وتكريم قبيلة عربيّة تصاهر رجلاً عربيّاً نسباً ونشأةً وشرفاً وبطولة ، كريماً في حسبه ونسبه ، وعليّ حفيد عبدالمطّلب ، يشار إليه هذا هو عليّ.

وقال حزام لعقيل : يابن أبي طالب ، أمهلني حتّى أرى رأيها ، وجاء إلى دار عياله ، وسمع ابنته فاطمة تقصّ على

أُمّها رؤيا رأتها ، كأنّ القمر قد سقط في حجرها ، ومعه ثلاث كواكب .

فقالت لها أُمّها: قد صدقت رؤياك ، وقال الأب: بشراك ، هذا عقيل بن أبي طالب جاء خاطباً إيّاك لأخيه عليّ الرجل الشجاع ، الرجل الكريم ، وتمّ الأمر ، وحصل الرضا ، وانتقلت هذه المرأة ، ونِعْم المرأة ، ونِعْمَ الرجل ، ونِعْم البيت ، ونِعْم المصاهرة ، ونِعْم الزوج ، وتسلّقت ذرى النسب الجديد ، والشرف الهاشمي ، والبيت العلوي ، وكان الثمر هو قمر العشيرة وإخوته ، الكواكب في سماء كربلاء ، شهداء الخير ، وشهداء الفضيلة والكرامة ، من أجل الدفاع عن سيّد الشهداء ، جزاهم الله خير الجزاء ، وسلام عليها ، وعلى أولادها ، سلام الله عليك يا أبا الفضل عليه السلام ، أيّها الأخ الوفيّ المخلص ، وعلى إخوتك الأبرار.

زيارتها وقبرها ويوم وفاتها:

وزيارة المؤمن في الشريعة من المستحبّات ، ومن زار مؤمناً أثابه الله ، فكيف بها وهي مؤمنة صابرة ، سيّدة في

قومها ، بطلة أمام الحدث الجسيم ، وزيارتها من أفضل المستحبّات ، والتردّد على قبور المؤمنين فيه الموعظة والعبرة؛ لأنّ روح المؤمن باقية خالدة ، والوقوف عند قبرها ، والدعاء والتوسّل بها عند الله أمر راجح مرضي تؤيّده السنّة النبويّة ، فقد كان رسول الله يزور قبور البقيع ، وهذا هو المتواتر المعروف في كتب السيرة ، وكانت فاطمة تزور قبر عمّها الحمزة بن عبدالمطّلب ، وكان عليّ يزور المقابر ، ويدعو لها بالرحمة ، وكان شيوخ الصحابة يزورون قبور الشهداء ، قبور آبائهم وإخوانه ، رزقنا الله زيارة هذه المؤمنة الموالية المحبّة المتفانية من أجل الحسين عليه‌السلام .

وأمّا قبرها فهو في البقيع ، في الزاوية اليسرى ، ومن المؤمّل ، وهو الحلم الذي يراودنا ، أنّ قبرها في يوم قادم سيبنى ويشيّد ويطاف حوله ويزار ، وكذلك قبور البقيع التي كانت ثمّ هدمت ، ومثل الصادق والباقر والسجّاد والحسن السبط ، يستحقّون التكريم وبناء قبورهم ليطوف حولهم الوافدون ضيوف الله .

وأمّا يوم وفاتها فلم يكن ظاهراً معلوماً، وقد نقل لنا السيّد الخطيب السيّد مهدي السويج البصري في كتابه أمّ البنين سيّدة نساء العرب في الصفحة ٨٦ ـ ٨٧، قال:

«ذكر كتاب كنز المطالب تأليف العلّامة السيّد محمّد باقر القراياغي الهمداني:

كانت وفاتها في جمادى الثانية، في الثامن عشر منه، وكان يوم جمعة، دخل الفضل بن العبّاس وهو باك حزين على الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يقول:

لقد ماتت جدّتي أمّ البنين عليها السلام، فانظر بالله عليك إلى هذا الدهر الخؤون كيف فجع أهل الكساء مرّتين في شهر واحد، فلا حول ولا قوّة إلّا بالله».

وذكر في هامش وقائع الشهور والأيّام للبيرجندي: «وفي الثالث عشر من جمادى الثاني توفّيت أمّ البنين الكلابيّة سنة ٦٤هـ»[١].

ومعنى ذلك أنّ المرأة توفّيت في المدينة، وعاشت في

---

(١) كتاب هامش وقائع الشهور والأيّام: ٣٠٠.

المدينة بعد واقعة الطفّ ، وهي ثلاث سنوات ، وأثّرت عليها فاجعة كربلاء ، تلك الفاجعة المؤلمة ، والمذبحة الكبرى التي ذهب ضحيّتها آل عليّ وآل عقيل وآل جعفر ، وعادت النساء المفجوعات الباكيات بعد أن طافوا بهنّ من بلدٍ إلى بلد.

أمّ البنين أُمّهاتها وجدّاتها:

وكلّهنّ عربيّات من بنات الأُسرة العربيّة ، وقد وضّح شيخنا السماوي في كتابه إبصار العين في أنصار الحسين قائمة ذكر فيها الأُمّهات والجدّات ، « وأُمّه أُمّ البنين فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن عامر المعروف بالوحيد بن كلاب بن عامر بن ربيعة بن صعصعة.

وأُمّها ثمامة بنت سهيل بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب.

وأُمّها عمرة بنت الطفيل فارس قرزل بن مالك الأخزم رئيس هوازن.

وأُمّها كبشة بنت عروة الرحال بنت عتبة بن جعفر بن كلاب.

وأُمّها أُمّ الخشف بنت أبي معاوية فارس هوازن بن عبادة بن عقيل بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة.

وأُمّها فاطمة بنت جعفر بن كلاب.

وأُمّها عاتكة بنت عبدشمس بن عبدمناف.

وأُمّها آمنة بنت وهب بن عمير بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن ذودان بن أسد بن خزيمة.

وأُمّها بنت جحدر بن ظبيعة الأغرّ بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن عليّ بن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار.

وأُمّها بنت مالك بن قيس بن ثعلبة، وأُمّها بنت ذي الرأسين خشين بن أبي عصم بن سمح بن فزارة.

وأُمّها بنت عمرو بن صرمة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الريث بن غطفان»[١].

رؤيا أمّ البنين قبل الزواج:

وكانت رؤيا صادقة وبشارة لها دفعتها إلى الرضى

---

(١) إبصار العين / محمّد طاهر السماوي: ٢٩.

والقبول ، وهي في صحراء الحجاز الأرض العربيّة ، وهي في الخباء العربي ، وفي ليلة مقمرة استيقظت هذه المرأة العربيّة ، وهي في حالة غريبة ، وجاءت إلى أُمّها مسرعة تقصّ عليها رؤيا... رأتها أمّ البنين ، وهي تحكي حكاية الحلم ، وتروي أثر آلام ابتسامة الأمل ، وتردّ عليها أُمّها : أبشري خيراً يا فاطمة ، وتذهب بها والدتها إلى أحد مفسّري الأحلام ، ويبتسم المفسّر وهو يقرأ الحلم في عيون الفتاة بعد أن حكت له الأُمّ تفاصيله ، ويخاطب الفتاة الخجولة قائلاً :

أبشري يا ابنتي ، إنّك سوف تنالين شرفاً عظيماً وتتزوّجين رجلاً عظيماً ، وتنجبين أربعة أولاد كالأقمار ، وتصبحين امرأة معروفة ، فتفتخر بك عشيرتك.

يشرق وجه الفتاة الطاهرة بابتسامة ، أكبر منها ابتسامة أُمّها ، وهي تنال هذا الشرف الكبير ، وعندما سألت الأُمّ مفسّر الأحلام عن غياب القمر والنجوم الثلاثة ، هزّ رأسه ، ورسّم في وجهة علامة تدلّ على الجواب سيكون في وقت آخر ، وبقيت الفتاة تعيش أجمل أيّامها على تحقيق هذا الحلم الأخضر...»[1].

---

(١) الكوثر (العدد ١١) : ٢٣ ، الموسوي ـ النجفي.

وعندما قدم عقيل بن أبي طالب مبعوثاً من أخيه خاطباً هذه السيّدة الكريمة المبشّرة ، ورضي أبوها ، وبقيت فاطمة تتحدّث إلى أُمّها مرّة بعد مرّة هذا الحلم:

كأنّ القمر قد سقط في حجرها ومعه ثلاثة كواكب ، فقال الوالد: لقد صدقت رؤياك ، وأخبرها بأنّ الضيف قادم لخطبتها ، وتمّ العقد والرضا ، ودارت الأيّام فولدت أمّ البنين البطل الأوّل ، والشجاع الفذّ العبّاس عليه السلام بن عليّ في الرابع من شعبان سنة ٢٦هـ ، وكان يوماً مباركاً فرح فيه عليّ عليه السلام ، وفرح فيه الحسين عليه السلام بهذا المولود المبارك الذي كان يأمله عليّ وينتظره ، وأخبر عليّ بولادة هذا المولود ، وبدت الفرحة والابتسامة على محيّاه ، وشكر الله على ذلك ، وقدّم له هذا المولود ، وجاءت تحمله أكبر بناته هي شقيقة الحسنين السيّدين الإمامين ، هي ابنة فاطمة ، وقدّمته إلى أبيها ، وأخذه إمامنا ووضعه بين يديه وهو يحرّك كفّه ، وتقاطرت دموع عينيه ، ويكثر الالتفات إلى وجه الحسين وإلى وجه السيّدة العقيلة زينب عليها السلام ، أمّا الأُمّ النفساء فاستغربت وهي تنظر إلى وجه عليّ ، فقالت:

أراك تقلّب كفّ ولدي وتبكي ، هل رأيت فيها عيباً ؟

قال: لا ، ولكن إنّ ولدك هذا يكبر ويحمل الماء لعيال الحسين عليه السلام دفاعاً عن هذه ، وأشار إلى زينب ، وتقطع كفّاه ، وبدا الحزن على وجه زينب في تلك الساعة الأُولى ، ساعة الولادة ، وتحقّق كلّ ذلك ، وصدق عليّ في نظرته إلى المستقبل ، وقام أبوالفضل ، ذلك الموقف المشرّف ، هو وإخوته ، وذهب شهيداً.

سلام عليك يا أبا الفضل يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تحشر يوم القيامة وكفّاك مقطوعتان ترفعهما إلى العدل الحكيم ، ونِعم الحكم الله ، لعن الله من قتلك ، ولعن الله من ظلمك ، ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات ، لعن الله من قطع كفّيك ، وقتل إخوتك وولديك محمّد والقاسم ، وفجع أخاك وأبكاه.

شخصيّة أبي الفضل وعلوّ درجته:

وهو الولد الأوّل لأُمّ البنين ، وهو أكبر إخوته الثلاثة:

جعفر وعبدالله وعثمان[١]، وهو أفضل أولاد عليّ بعد الحسن والحسين عليهما السلام، نال هذا الشرف بالشهادة واليقين والإيمان والمعرفة، وكان بطلاً شجاعاً باسلاً متفانياً من أجل الحسين، وكان عارفاً عرفانيّاً، عرف الحسين عليه السلام حقّ معرفته، وتفانى من أجل قضيّته، وكان مستشاراً للحسين في المواقف واللقاءات في كربلاء، وكان يمتلك وعياً فكريّاً سياسيّاً في قضيّة الحسين عليه السلام، وكان مسؤولاً عن قضايا أوكل الحسين إدارتها بيده، كتدبير أمر النساء، ورعايتهنّ، وسقايتهنّ، وكان يحفر الآبار في كربلاء ليستخرج الماء لسقاية الأطفال[٢].

وكان خطيباً خطب على الجميع قبل أن يجرّد سيفه، سمعوا خطبته ولم يتأثّروا بنصائحه ومواعظه، له خطبة فيها كلام شديد، وكان المخاطب عمر بن سعد (لعنه الله)[٣]. وكان

---

(١) قُتلوا في كربلاء، وليس لهم عقب؛ لأنّهم لم يتزوّجوا، واللقب والذرّيّة من أبي الفضل.

(٢) راجع المنتخب / الطريحي.

(٣) راجع كتب المقاتل، وكتاب الايقاد في شهادة العبّاس عليه السلام تجد بعضاً من خطبته.

ملازماً للحسين عليه السلام ، ويدير شؤون النساء في الساعات الحرجة الشديدة بأمر من الحسين عليه السلام ، وكان يرعى شؤون زينب ويسدّدها ، وكانت تسمع له ، وتأخذ بكلماته ، وتطمأنّ لأقواله ، قال فيه الحسين كلمته الخالدة القوية: بنفسي أنت يا أخي[1].

ولكن أنا لا أستطيع تحليلها والوصول إلى عمقها ، ماذا قصد الحسين ؟ هل قصد أفديك بنفسي ، أو أنت كنفسي ؟أو ما تقوله ويصدر منك هو ما أُفكّر فيه ، ونفسك نفسي ؟ وما تراه مناسباً أنا أرتضيه ، وكأنّ الحسين أنزله بمنزلة نفسه ، أو الناطق المعبّر عن أفكاره ، ووردت في حقّه عبارة أُخرى:

ورد في زيارة الناحية:

«السلام على العبّاس بن عليّ ، المواسي له بنفسه ، الآخذ من غده لأمسه»[2]. ما هو مدلول هذه العبارة الصادرة من الإمام المعصوم ؟ ماذا أخذ العبّاس وهو في اللحظات الأخيرة من حياته ؟ ماذا رأى ؟ وماذا أخذ ليزداد عزماً

---

(١) راجع كتب المقاتل ، فإنّ هذه الكلمة ذكرها جميع من كتب عن الطفّ.

(٢) راجع معجم رجال الحديث / السيّد الخوئي: ٩.

وقوّة واندفاعاً ولم يشرب الماء حبّاً للحسين عليه السلام ، ثمّ يحسّ بالألم وقد قطعت كفّاه.

سلام الله عليك يا أبا الفضل ، ويكفيه فخراً أنّ الإمام السجّاد عليه السلام واراه بنفسه ، وبكاه الحسين عليه السلام ، ومدحه زين العابدين ، وأثنى عليه الإمام الصادق عليه السلام ، هذا هو أبو الفضل ، وهذه منزلته ، وهو آخر من قُتل من أولاد عليّ بعد أن تقدّم إخوته ، وهو الذي دعاهم أن يسبقوه ، وقال كلمته: تقدّموا يا أولاد عليّ ، يا أبناء أُمّي ، حتّى أراكم ، حتّى أُرزء بكم ، حتّى أُثاب في شهادتكم ، وتقدّم هؤلاء وكان موقفهم الخالد الباقي جزاهم الله خير الجزاء ، ورحم الله شاعرنا السيّد العلوي حيث يقول:

أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ
فغدوا في منى الطفوف أضاحي

وبقيت الأُمّ الثكلى تبكي على أولادها مع مجموعة من نساء المدينة ، وهي تردّد أبياتها المذكورة في كتب المقاتل:

لا تدعوني ويك أمّ البنين   تذكّريني بليوث العرين

كانت بنون لي أُدعى بهـم   واليوم أصبحت ولا من بنين

هذه أمّ البنين ، وهذا هو الولاء والإخلاص والتفاني من أجل قضيّة الحسين عليه السلام الكبرى الخـالدة ، ولنا بأُمّ البـنين أُسوة حسنة لنسير على خطاها ونبق مـع الحسـين عليه السلام ، ونعاهد الحسين عليه السلام أنّنا على خطاك ، سلام الله عليك يا أبا عبدالله ، وعلى المستشهدين بين يديك ، وعلى أخـيك أبي الفضل العبّاس ، الأخ المواسي الذي قتل عطشاناً ، جزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجـزاء ، طـبتم وطـابت الأرض التي فيها دفنتم.

حقائق تاريخيّة في حياة أُمّ الشهداء الأربع

وقد أخفى التاريخ كثيراً من الحقائق ، وأهمل أكثر ، وهنا نسأل المؤرّخين عمّن لا يستحقّ أن يذكر ولم يذكروا لنا إلّا القليل من حياة هذه المؤمنة ، لم يذكروا ولادتها ، ولم تدوّن أخلاقها وسيرتها ، ولم يذكروا لنا الأسباب المقنعة المقبولة عن تأخرّها عن الحضور في كربلاء ، وهذا ما أوقع السيّد البحّاثة المقرّم في مقتل الحسين ، فإنّه ذهب إلى عدم بقائها بعد واقعة الطفّ ، هكذا ادّعى وذهب إلى ذلك ، ولكنّه لا مستند له ، ولا ندري من أين أخذ ذلك ، وعلى أي كتاب اعتمد ، وهل سبقه أحد إلى ذلك ، وإنّما هي وجهة نظر ، أمّا وجودها ولقاؤها مع الشاعر الناعي بشر بن حذلم فهو أمر مشهور سمعناه من الخطباء ، وأمّا دخول هذا الشاعر الناعي

إلى المدينة فهو من المسلّمات ، ذكره كلّ أرباب المقاتل.

دخل بشر بن حذلم إلى المدينة ناعياً ، وتجوّل في محلّة بني هاشم رافعاً صوته:

يا أهل يثرب لا مقام لكـم بهـا
قـتل الحسـين فـأدمعي مـدرار
الجسـم مـنه بكـربلاء مـضرّج
والرأس منه على القناة يـدار[1]

وعندما خرجت المخدّرات مـن كـلّ بـيت ومـن جمـلة المخدّرات بنات عقيل بن أبي طالب خرجن بحالة لا أستطيع التحدّث عنها ، وصرخت واحدة منهنّ بالطريق:

ماذا تقولون لو قال النـبيّ لكـم
ماذا فعلتم وأنتم آخـر الأُمـم[2]

وقد تسألني هل خرجت أمّ البنين من دارها لتسأل عن أولادها ؟ فما هو الدافع وهي مفجوعة بأربع ولا تدري وقد

(١) راجع المنتخب للطريحي، والفوادح الحسينيّة، وكتب المقاتل الأُخرى.

(٢) ذكر ذلك أرباب المقاتل، ومن كتب في حضّار الطفّ ورجوع السبايا.

سافروا إلى العراق ، ولو كانت غير موجودة في المدينة ، أو فارقت الحياة منذ زمن لأشار إلى ذلك أرباب المقاتل ، ولكنّهم سكتوا ولم يصرّحوا بكلمة واحدة ، وكأنّها لم تستحقّ الذِّكر ، وكأنّها امرأة عاديّة أو نكرة ؟

الفواطم في التاريخ :

فاطمة الكلابيّة واحدة من الفواطم ، فلا تخلو أُسرة عربيّة إلّا وظهرت منها عقيلة عُرفت بهذا الاسم ، ونستطيع أن نضع سلسلة أو قائمة للفواطم الشريفات ذوات الشرف الرفيع ، والبيوتات العربيّة ذات الأصالة والشرف ذكرها المؤرّخون وعلماء الأنساب ، وجعلوا فروقاً وامتيازات لكلّ قبيلة ولكلّ بيت .

أمّا فاطمة الكلابيّة التي تنسب إلى أُسرتها ، ثمّ نسبت إلى بيت عليّ ، ثمّ عرفت بأبنائها ، فلها كيان ووجود وشرف ، أمّا النسب فهو عربي حجازي ، فإنّ الأنساب برجالها وأبطالها ، وكلّ قبيلة من القبائل العربيّة لها طابع وطبائع ، وكلّ قبيلة تختلف عن الأُخرى بنسبها ، وقد قال عقيل بن

أبي طالب كلمته: لم أرَ أشجع من آبائها وأعمامها وأخوالها، والشجاعة والكرم والأصالة والنسب الرفيع تحلّت به فاطمة الكلابيّة، هذا منذ أن ولدت في ذلك الخباء في الصحراء في أرض آبائها وأجدادها، وارتقت وتشرّفت فصارت فاطمة أهل البيت، أُمّ الشهداء، النادبة الباكية الصابرة الممتحنة التي قالت وبكت وأبكت غيرها، واتّخذت من بيت الأحزان داراً للبكاء والنياحة، وهي تردّد:

يا ليت شعري كما أخبروا...[1]

المآتم الحسينيّة ومآتم أُمّ البنين:

تحوّلت المدينة إلى أصوات حزينة ومآتم رقيقة ودموع ساخنة:

مآتم عبدالله بن عبّاس.

مآتم أُمّ سلمة... مآتم فاطمة العليلة.

مآتم محمّد بن الحنفيّة.

---

(١) انظر: أدب الطفّ / جواد شبّر، ومقتل الحسين / بحرالعلوم.

مآتم الرباب بنت امرؤ القيس الكلبي.

مآتم عبدالله بن جعفر.

مآتم آل عقيل.

مآتم أُمّ البنين فاطمة، أُمّ الأربع.

مآتم ليلى أُمّ عليّ الأكبر عليه السلام.

وأكبرها مآتم الإمام زين العابدين عليه السلام، فكان يبكي ويذكر أباه عند كلّ منبّه، ما قدّم له طعام أو شراب إلّا ومزجه بدموعه، وقال: كيف أشرب؟ كيف آكل وقد قُتل أبي الحسين جائعاً عطشاناً؟! وكانت المدّة التي عاشها بعد أبيه هي أربع وثلاثون سنة، وقد دخل عليه الرجل التابعي الكوفي أبو حمزة الثمالي مراراً وقال له ما قال، ولكنّ إمامنا شكر له سعيه، وقال كلمته الخالدة: شكر الله سعيك يا أبا حمزة، كما تقول القتل لنا عادة، وكرامتنا من الله الشهادة، ولكن هل سمعت أُذناك أو رأت عيناك أنّ امرأة سبيت منّا قبل يوم عاشوراء[1]، وبقيت تلك الدور مليئة بالأحزان والدموع الساخنة على مذبحة كربلاء.

---

(١) راجع كتب المقاتل، ومن كتب بكاء زين العابدين عليّ بن الحسين عليهما السلام.

كلمات معانيها ودلالاتها:

إذا رجعنا لنقرأ مقتل الحسين، ومقتل الحسين متعدّد وكثير، وإن اختلفت العبارات والأُساليب والأقلام، فإنّ بينها طوابع مشتركة، نقرأ هذه الكلمة التي قالها الحسين في أخي أبي الفضل العبّاس عليه السلام عصر يوم التاسع عند المساء عندما زحفت الخيول المتعطّشة للخطيئة والدماء، وقال عليه السلام لأخيه:

«يا عبّاس، اركب بنفسي أنت يا أخي حتّى تلقاهم فتقول لهم ما بكم وما بدا لكم، وتسألهم عمّا جاء بهم».

ولكنّ صاحب الإيقاد نقلها بهذ الشكل:

«قال يا عبّاس، اركب بنفسك أنت يا أخي حتّى تلقاهم وتقول لهم ما بكم، ما بدا لكم، وتسألهم عمّا جاء بهم»[١].

فإذا كانت العبارة الصادرة من الحسين عليه السلام هذه «بنفسك» معناها واضح، ولكن وردت ورويت في كتب كثيرة ومقاتل متعدّدة «بنفسي أنت يا أخي» فما هو معناها

---

(١) الإيقاد / عبدالعظيم: ٧٤.

ومدلولها ، وما هو معنى هذه الياء ، ماذا كان الحسين يقصد ؟ هل كان الحسين قد نظر إلى مستقبل أخيه ففداه بنفسه ؛ لأنّه ينال هذه الدرجة ، فإنّ المتكلّم هو إمام وابن إمام ، والمتكلّم أشرف وأفضل من السامع ، القائل هو الحسين ، والسامع هو العبّاس ، وقال هذه الكلمة في ساعة محرجة ساعة حرب وساعة هجوم وتطويق ، وأُصيبت الخيام بمفاجأة ومباغتة ، فلعلّ المعنى ، والله أعلم ، أنّ المتكلّم يريد تعظيم السامع وإجلاله وإعطاءه منزلة رفيعة ، أنت كأخيك في العظمة والشأن والابتلاء.

المعنى الثاني لعلّ الحسين عليه السلام قصد أنت تمثّلني وتنوب عنّي ، وهذا شأن السياسي في المواقف والأزمات ، فأنت تنوب عنّي في هذه المشاكل والمواقف ، فاختاره للمفاوضة ، وليست قضيّة عابرة ، فإنّ الحسين أدرك فيه الكفاءة والقدرة في الأداء والتحمّل والمواجهة ، قدرة عقليّة وقدرة فكريّة لمواجهة هذه الخيول الزاحفة برعونة واستهتار وبتهوّر ، إنّهم شذّاذ لم يعرفوا أُسس الحروب ولم يراعوا قوانين القتال ، ولم يراعوا حرمة لآل الرسول صلى الله عليه وآله ، وفي العباس قدرة على

المواجهة وإدارة الأُمور ، والتاريخ يشهد.

المعنى الثالث اركب بنفسي ، أي أُفديك بـنفسي ، وأنت تفديني بنفسك ، وهذا منتهى الفداء ، فالحسين يفدي نفسه لأخيه ، وكذلك العبّاس ، فكان يتمنّى أن يكون فداءاً لأخيه لا بعنوان فداء أخ لأخيه ، وإنّما فداء مأموم لإمامه ، ولكنّ العبّاس يرى نفسه أقلّ من ذلك ، فكانت اللغة بليغة بـين أخيه وهو إمام ومأموم تجب طاعته ، والدفاع عنه ، والسير على خطاه ، وتكون العبارة أفديك بنفسي ، أو أُنزلك منزلة نفسي ، وهذا منتهى القرب بين نفس الحسين ونفس أخيه ، وهذه بشارة من الحسين لأخيه: أنّك ارتقيت إلى درجة من العقيدة والعلم وأنا أفديك ، لأنّك ارتقيت إلى درجـة مـن العقيدة والعلم ، وأنا أفديك لأنّك عظيم ، وهذه كلمة مـن الحسين عليه‌السلام لها معنى آخر ، أو يقصد الحسين عليه‌السلام أنا وأنت لو قابلنا القوم فأنا أنت وأنت أنا ، أنت حسين وأنا العبّاس ، وإن اختلفنا في الأُمّهات فالدماء واحدة ، والخطى واحدة. أنت نفسي وأنا نفسك ، فاختاره الحسين لأنّه أهل لذلك ، ولم يجد الحسين عليه‌السلام أخاً في تلك الساعة وفي تلك اللحظة بهذا

المستوى من القدرة الدبلوماسيّة والمواجهة واللقاء ليقول للقوم ما يريده الحسين عليه السلام ، ولعلّ المقصود من كلمة الحسين أنّ العبّاس أفضل أولاد عليّ عقلاً ومعنى ، فهو والحسين نفس واحدة ، ما يحسّ به الحسين ، وما يخطّطه الحسين ، وما يفكّر به الحسين ، هو الذي سيقوله العبّاس ، فهو نفس الحسين كما أنّ عليّاً هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله ، ليست المسألة مسألة أجساد وحركات وكلمات ، المسألة أبعد من ذلك ، فالعبّاس والحسين في مسيرة واحدة ، هذا يعرف هذا ، وهذا من أجل هذا ، فهو أكبر أولاد عليّ ، وهو أكبر إخوانه الثلاثة ، سقاه عليّ ونمّاه وربّاه وتعب في تربيته ، فهو من علماء بني هاشم ، وفقهاء أهل البيت ، وقال عليّ كلمته الخالدة فيه أنّ ولدي هذا قد زقّ العلم زقّاً.

وأمّا إخوته الثلاثة فهم أصغر منه ودونه سنّاً ، وتسلسل الأولاد الكبير والوسط والمتوسّط والصغير (فتزوّجها أمير المؤمنين (أمّ البنين) ، فولدت له أربعة ، انتجبت بهم ، وأوّل ما ولدت العبّاس عليه السلام ، وبعده عبدالله ، وبعده جعفر ، وبعده عثمان)[١].

---

(١) الحسين باحث في قضايا الطفّ / عليّ الهاشمي ١ : ١٣.

أين بنو أُختنا:

هذه قضيّة ردّدها أرباب المقاتل ، وهي خدعة تدلّ على أنّ القوم لم يعرفوا أبا الفضل معرفة صميميّة ، كانوا يظنّون بأنّهم إذا لوّحوا له بكتاب الأمان سوف يتسلّل ويترك الحسين ، هذا هو الهزال السياسي ، إنّه موقف يدلّ على عظمة وثبات أبي الفضل ، وقد صرّح بذلك بكلماته الخالدة مع شمر بن ذي الجوشن ، الرجل الفاسق المتهوّر ، الذي أراد أن يخدع الرجل المؤمن المطمئنّ ، وقال العبّاس كلمته الكبيرة التي تحمل المعاني والأنوار المشرقة :

يا شمر ، أنا لي الأمان وابن رسول الله لا أمان له ، أوَأترك من خلقني الله لأجله ، وكلّم معه إخوته بمثل هذا الكلام[١].

وإخوته الذين ضربوا المثل الأعلى في التضحية والفداء ونالوا الشهادة؛ لأنّهم فخر العشيرة ، ولبّوا دعوته ، واستجابوا له لمّا سمع صوت الحسين يطلب التأخّر ، وماذا قال العبّاس لإخوته ؟:

---

(١) انظر كتب المقاتل القديمة والحديثة تجد هذا الموقف على أحسن حـل.

وقال لإخوته من أُمّه ، وهم عبدالله وجعفر وعثمان: يا بني أُمّي ، تقدّموا حتّى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله ، فإنّه لا ولد لكم ، تقدّموا على عسكر عمر بن سعد إقدام الشجعان ، واملؤا صدورهم بالضرب والرمي والطعان[١].

قال لإخوته الثلاث: (تقدّموا لاحتسبكم عند الله) فتقدّموا حتّى قُتلوا[٢].

ومن العجب أن تصدر هذه الكلمة في كتاب السلسلة للبخاري أبو نصر: أنّ العبّاس قال لإخوته: (تقدّموا حتّى أرثكم) أو مثل قمر العشيرة يصدر منه ذلك وهو الذي تهيّأ واستقبل الشهادة؟! وماذا عند إخوته حتّى يرثهم؟! ولعلّ هذه الكلمة وردت في الكتاب محرّفة من الطبع وأصلها أراكم.

ومن العجيب أن يقول البحراني صاحب كتاب الفوادح الحسينيّة: العبّاس بن عليّ وأُمّه أمّ البنين ، وهو آخر من قتل لإخوته لأبيه وأُمّه فحاز موارثهم[٣].

---

(١) القتل / ابن نما الحلّي: ٥٠.

(٢) المجالس الحسينيّة / محسن الأمين العاملي ١: ١٣٥.

(٣) الفوادح الحسينيّة / حسين البحراني: ٣٣٧.

ماذا يقصد هذا الشيخ بكلمته، هل يقصد أنّ الإخوّة الثـلاثة لا عقب لهم ولم يتزوّجوا، ولم يكن لهم ذرّيّة فمـاتوا قـبل أخيهم، ومن بقي يرث من نال الشهادة، فهذا قبل هـذا، والعبّاس آخر من تقدّم من أولاد عليّ، تقدّم إخوته وتقدّم ولداه محمّد والقاسم عليه السلام، وكلمة الحسين التي رواها أرباب المقاتل أنت أنت .. حامل لوائي إذا مضيت تفرّق عسكري.

معالم وأضواء في الطريق:

وإذا قلّبنا أوراق أمّ البنين وقرأنا حياتها يوم كانت ببيت الأُسرة ثمّ صارت كريمة قومها، ثمّ انتقلت إلى البيت الجديد وصارت أُمّ الأولاد الأربعة، وارتقت، وصارت علماً من الأعلام، الناس تتحدّث عنها، وتجلّها بمـاذا، ومـا هـي الوسائل والعوامل لبناء شخصيّتها؟ هل النسب أو الزوجيّة أو البيت الجديد أو لأنّها أمّ البنين أفضل نساء الإمام عليه السلام بعد الصدّيقة فاطمة، وكلّ نساء الإمام فضليات، وقد تسأل بماذا استحقّت هذه المرأة هذا الفضل والتفضيل، وهذه المنزلة في القلوب والألسن؟

وقد يسأل سائل: أنّ هذه الرتبة التي بلغتها هذه المـرأة وهي ليست بهاشميّة من أين جاءت ، هل هي المضاجعة ، أو لأنّها دخلت هذا البيت ببيت القرآن وبلغت هذه الرتـبة ؟ وهل هو النسب وزوجات عليّ عليه السلام ، كلّهنّ من أُسر وقبائل عرفوا بـالأصالة والشرف ، إذن في مـاذا ؟ هـل بـشرف أُسرتها؟ كلا ، هل ارتقت وبلغت هذه الفضيلة بأولادها أو بالعكس ، أولادها بلغوا هذه الرتبة بأُمّهم؛ لأنّهـم أخـذوا عنها الكثير أو بأبيهم؟ إنّها مسألة دقيقة .

لماذا يحبّ الناس هذه السيّدة دون غيرها من زوجات الأئمّـة وزوجات الإمام عليّ عليه السلام الفـاضلات الشريـفات ، وهن كثيرات ، ومن بيوتات معروفة ، وعليّ عليه السلام لا يـقدم على الزواج من البيت الملوّث إلّا أن يكون البيت نظيفاً طيّباً في الأصل والالتزام والمحافظة والعفاف فبماذا ارتقت أمّ البنين إلى هذا المستوى ؟إنّها احتلّت القلوب ، وتمركزت في قلوب الرجال والنساء.

الجواب هو الإيمان ، هو الطاعة ، هو الإخلاص ، هـو

التفاني، هو رضى الله، إنّها امرأة موفّقة، تلك المرأة التي ولدت في ذلك الخباء العربي في أرض الحجاز، ونشأت في بيت بسيط عربي، في بيت الشرف والبطولة والقيم العربيّة من الأصالة في النسب. ثمّ انتقلت إلى بيت رفيع هو بيت الإمامة، بيت مدحته السماء: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾(١) صدق الله العليّ العظيم.

في بيوت فيه رجال، وفيه نساء: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾(٢). وتكاملت شخصيّة هذه المرأة، وتقترب من التوجيهات، فلو قدّر أنّها في كلّ يوم تسمع كلمة أو آية أو نصيحة فكيف تكون في عشرات السنين؟ هذه هي أمّ البنين.

أيّتها المرأة المسلمة، تستطيعين أن تجعلي بيتك مدرسة وأنت السيّدة، وأنت ربّة البيت.

وتستطيع أيّها المسلم أن تجعل بيتك بيتاً مسلماً.

---

(١) النور: ٣٦.

(٢) النور: ٣٧.

حقائق مفقودة في حياة أمّ البنين:

وكم في التاريخ من حقائق مفقودة لا يستطيع المتخصّص في التاريخ أن يتوصّل إليها؛ لأسباب وأبعاد وعوامل قد لا تستطيع العثور عليها.

الحقيقة الأُولى:

يقولون إنّ أمّ البنين لها شعر، وهي من الشاعرات، وورد لها رثاء قرأناه وروته كتب الأدب[١]، وما قرأنا لها بيتاً واحداً رثت فيه زوجها وسيّدها الإمام عليّاً عليه السلام يوم استشهد في المحراب، لماذا؟ هذه حقيقة يسأل عنها القارئ.

وتعليل ذلك، وما يدرينا لعلّها رثت ولكنّه لم يدوّن ويحفظ ويروى ويصل إلينا، وليس هذا ببعيد، والضائع كثير، والذي لم يضبط ويدوّن هو الأكثر.

الحقيقة الثانية:

يقولون عنها إنّ أمّ البنين فاضلة، عارفة، مؤمنة، وعاشت مع عليّ، وهو خزانة علم، وكثير العطاء

---

(١) انظر أدب الطفّ / جواد شبر، ومقتل الحسين / بحر العلوم وغيرها.

والرواية ، وما قرأنا حديثاً روته ، أو حكاية ، أو رواية ، أو حادثة ، أو قالت : سمعت عليّاً ، أو ذكرت قصّة يؤخذ بها ، أو طرفة في حياة عليّ وبطولاته ومواعظه ، لماذا ؟ وعليّ كثير العطاء ، كثير المواعظ والإرشادات ، إنّها حقيقة مفقودة لم نعثر عليها ، ولعلّ تعليل ذلك أنّه لم يستطع أحد أن يدوّن ما يدور وما يحدث في بيت عليّ عليه السلام ، ومن هو ذلك الكاتب الذي يستطيع أن يعايش ويواكب ويدوّن ما يدور وما يحدث في داخل البيت ، ولكن يكفي أنّها غلغلت في أبنائها ما أخذته من عليّ عليه السلام وأعطته لأولادها ، فقد أخذوا عنها الكثير .

الحقيقة الثالثة :

الإمام عليّ هاجر إلى الكوفة واستوطنها ، وسكنها مدّة خلافته ليس وحده ، وإنّما هاجر معه عياله وبناته وأولاده ، وهذه من المسلّمات ، والحقيقة المفقودة هنا هل هاجرت أمّ البنين إلى الكوفة ، أم أنّها بقيت في المدينة ، أو عند عشيرتها وأهلها ؟ إنّ الزوجة المخلصة لزوجها لا تفارقه ولا يفارقها ،

فكيف بأُمّ البنين ، فلا يمكن أن تنفصل عنِ زوجها ، وكيف يرضى عليّ أن يتركها بعيدة عنه؟! إنّها هاجرت واستوطنت الكوفة ، وهذا ممّا لا شكّ فيه أنّها سكنت الكوفة وكثير من أقاربها وأقرب الناس إليها في الكوفة .

الحقيقة الرابعة :

إنّها لم تخرج مع النساء إلى كربلاء يوم خرج الحسين عليه السلام ، لكن لماذا لم تخرج ؟

ولماذا بقيت في المدينة ؟ هل لسبب ، أو مانع مرض ، أو كبر سنّ ، أو رغبة منها ، أو أشار الحسين عليها بالبقاء ؟أما كان يحذر عليها من قبضة بني أُميّة ، إنّهم يهدّدون أقرب الناس إلى الحسين عليه السلام .

المسألة ليست كذلك ، هي بقيت أو أبقاها أولادها لتحفظ ذرّيّة العبّاس من الضياع ، وقد تحقّق ذلك ، فكانت مربّية وترعاهم ، ولا يستطيع بنو أُميّة أن يمسّوها بسوء؛ لأنّها ليست هاشميّة ، وهي من قبيلة عربيّة (بنو كلاب) ، وهي قبيلة قويّة كثيرة العدد ، وبقيت وعاشت في المدينة تكثر من

البكاء والرثاء حتّى وافاها الأجل.

الحقيقة الخامسة:

(وهي فرضيّة)، فلو خرجت إلى كربلاء وقتل أولادها وسبيت مع النساء فهل يسكت قومها وعشيرتها، أو يطالبون ابن زياد بإطلاقها والكثير من بني كلاب قد شارك في حرب الحسين عليه السلام، وكان لهم دور في ضرب الحصار على مشرعة المسنّاة، وهم أصحاب المحاولة الخادعة ليفصلوا قمر العشيرة عن الحسين، ورفعوا شعار بنو أُختنا، ولم يتحقّق لهم غرض، وكان الأفضل من ذلك، وهو الذي حصل أنّها تبقى في المدينة حماية لها من الأذى وتحافظ على ذرّيّة أبي الفضل عليه السلام بالذات.

الحقيقة السادسة:

زار الحسين عليه السلام كثيرون، وشدّوا الرحال إلى كربلاء كما تقرأ هذه العبارة: أنّ جابراً وجد قوماً قد وفدوا كربلاء من بني هاشم، ومن يواليهم، ومن يحبّ الحسين عليه السلام عبارة يجدونها أرباب المقاتل من غير تفصيل وذكر الأسماء، فهل

وردت إلى كربلاء لزيارة الحسين وشدّت الرحال ، هذا بعيد كلّ البعد؛ لأنّ المسافة طويلة ولا تستطيع ذلك؛ لأنّ الحزن والفاجعة وعظم المصائب أخذ منها مأخذاً عظيماً.

الحقيقة السابعة :

هل وردت لها زيارة في كتب الزيارات والأدعية القديمة والحديثة يؤخذ بها ويعتمد عليها؟

بهذا العنوان لم يرد ذلك بسند صحيح. وإذا زرناها فماذا نقول ؟ وبأيّ عبارة نخاطبها ؟

نزورها لأنّها مؤمنة صالحة وتستحقّ عبارةً أيّتها المؤمنة الصالحة ، ولحبّها للحسين نخاطبها يا أُمّ الحسين ، ويا أُمّ الميامين الشهداء ، حشرك الله مع الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام ، رضي الله عنك ، وجزاك الله خير الجزاء.

أمّ البنين تسأل وزينب تجيب :

وعاد موكب آل محمّد بعد هذه المسيرة الشاقّة ، وبعد هذا السفر والعناء ، عادوا إلى الوطن ، وكيف عادوا ؟ وما هي

حالهم؟ وكانت أمّ البنين تبكي وترثي وتندب وتردّد:

كانت بنون لي أُدعى بهم   واليوم أصبحت ولا من بنين

وكانت أمّ البنين تعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ زينب لا تعود إلى المدينة سالمة، ومن البعيد أن تعود فهي إمّا تموت، وإمّا تسجن؛ لأنّها أصبحت في قبضة الذئاب، أمّا أن تسجن في الشام، أو تقتل في الكوفة، أو تموت كمداً وحزناً... وجاءت نساء المدينة يخبرنها بقدوم زينب وهنّ ينادين: يا أمّ البنين، يا أمّ البنين، قومي فها هي زينب قد أقبلت، وأقبلت أمّ البنين وهي غارقة في الحزن متوجّهة إلى دار الحسين لتشارك أُمّ المصائب أحزانها، وتمّ اللقاء، وغرق الجميع بدموع العاطفة، أمّ البنين تسأل، وماذا تسأل، وأي سؤال كان أوّلاً، وأي سؤال كان ثانياً؟ سألتها عن سفرتها، أو سألتها عن الحسين عليه السلام أوّلاً؟ أو سألتها عن أولادها؟

يا ليت شعري أكما أخبروا...

فمن أخبرها، أخبرتها زينب، أخبرتها بما حصل ووقع، وما فعله أبناؤها يوم كربلاء.

أمّ البنين: يا أُخت الحسين عليه السلام أصحيح كما قيل أنّ ولدي لم يشرب الماء؟

زينب: بلى حرم نفسه من شرب الماء وكان ضمآناً.

أمّ البنين: حدّثيني عن بطولة ولدي العبّاس.

زينب: يا أُمّ العبّاس، قاتل قتالاً شديداً، وأبـلى بـلاءً حسناً، قطعت يمينه وشماله، وضُرب على رأسه في سبيل أخيه الحسين عليه السلام.

فقالت: الحمد لله الذي جعل ولدي فداءاً لابن فـاطمة الزهراء عليها السلام.

وكانت أمّ البنين تتردّد على زينب في كلّ عيد لا للتهنئة، وإنّما للتعزية لترى حال زينب وحالة العلويّات، وترى تلك الدار الخالية.

ألا لا تـــزان الدار إلّا بـــأهلها

على الدار من بعد الحسين السلام

المحتويات